ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة الثقافية: بين التحديات وآليات المواجهة

Arab cultural identity in the context of cultural globalization: Between challenges and coping mechanisms

د. منصوري سميرة
مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية. جامعة 20 أوت 1955.سكيكدة (الجزائر)
s.mansouri@univ-skikda.dz

تاريخ الإستلام: 11/ 01/ 2022 **تاريخ القبول**: 01/ 06/ 2022 **تاريخ النشر**: 14/ 06/ 2022

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على التحديات التي تفرضهاا لعولمة الثقافية على الثقافة العربية و بعض آليات مواجهتها، وللإجابة على تساؤلات البحث استخدمنا المنهج الوصفي.

توصلنا لجملة من الاستنتاجات منها: أن العولمة بأبعادها الاقتصادية والاتصالية والسياسية توجد جملة من التحديات الثقافية للعديد من الثقافات العالمية خاصة تلك التي تواجه العديد من التحديات الداخلية فضلا عن هذه التحديات الخارجية ومنها الثقافة العربية ويمكن تحديد هذه التحديات في نقاط أساسية ترتبط بتشتت الهوية الثقافية، وما يتصل بذلك من حيرة وتجاذبات ثقافية بين الرغبات، والواقع الاجتماعي وهو ما تولد عنه أزمة ثقة في الذات والإمكانات الداخلية بهذه الثقافة تتراوح ملامحها بين حالة الإحباط واليأس من إمكانية النهوض الثقافي وتشكيل الذات، إلى حالة التشكك في مدى القدرة على مواجهة التحدي الثقافي، وتمتد إلى حالة الشعور بالعجز عن الوصول إلى الآخر والتأثير فيه. وهو ما ولد أزمة الفاعلية التي أنتجتعدم القدرة على مواجهة هذه التحديات وتعتمد آليات المواجهة انطلاقا من ذلك على مدى الدعم للاستثمار في القدرات الداخلية والإمكانات المجتمعية خاصة الامكانات الفكرية لنخبة المجتمع ودورهم في ايجاد مشروع مجتمعي يكون قويا و مستوعبا في البنية الدافعة لأبناء المجتمع، وقادرا على إشباع حاجاتهم الأساسية.

الكلمات المفتاحية: ثقافة؛ ثقافة عربية؛ عولمة؛ عولمة ثقافية؛ هوية؛ هوية ثقافية.

Abstract:

This study aims to identify the challenges that cultural globalization poses to Arab culture and some of its coping mechanisms.To answer the research questions, we adopted the descriptive approach.We have reached several conclusions, including globalization, with its economic, structural, and political dimensions creates a range of cultural challenges for many global cultures, particularly those facing many internal as well as external challenges, including Arab culture.These challenges can be identified in key points associated with the fragmentation of cultural identity, as well as the related cultural confusion and attractions between desires and social reality, which cause a crisis of self-confidence.The internal potential of this culture ranges from frustration and despair, from the possibility of cultural advancement and self-formation to skepticism about the ability to meet the cultural challenge.It extends to a sense of inability to reach and influence one another, which has created a crisis of effectiveness that created an inability to meet these challenges.Coping mechanisms, therefore, depend on the extent of support for investment in internal abilities and community potential, in particular the intellectual potential of the society's elite and their role in creating a community project that is strong and capable of satisfying their basic needs.

Keywords:*Arab culture; culture; cultural globalization; cultural identity; globalization;*

ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

identity.

I. مقدمة

ترسخ الجماعة بالمجتمعات على اختلافها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية في الأجيال الجديدة بالمجتمع أنماط السلوك الثقافي المقبول بواسطة مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بهذه الوظيفة بهدف ايجاد أجيال جديدة تنمو نموا نفسيا واجتماعيا سليما يجعلها قادرة على مواجهة تحديات الحياة ومشكلاتها بالاستفادة من خبرات الأجيال السابقة.

من هنا تكون الثقافة المزود للأفراد والأجيال الجديدة داخل المجتمعات بالقدرة على مجابهة صعوبات الحياة ومشكلاتها الخاصة والعامة، بإمدادهم بخبرات الأجيال السابقة وما تتضمنه من أنماط سلوكية وممارسات يومية لا تتعارض مع متطلباتهم وحاجاتهم التي يسعون دائما لإشباعها، فتتجه الأجيال الجديدة عادة إلى تقبل والتكيف مع ما يشبع حاجاتهم من عادات وتقاليد وقيم، والتي تنطبع على سلوكياتهم وتصرفاتهم، وبالتالي تكون شخصيتهم من خلال عدة مصادر، تمثل في مجملها مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

غير أن الثقافة كغيرها من مكونات البناء الاجتماعي تتعرض للتغير في وحداتها ومركباتها استجابة للتحولات المتجددة فتوجد أوضاعا اجتماعية جديدة داخل تركيبة المجتمع، نتيجة ما يوجده التغير في النظام القيمي للمجتمع من تغير موازي في الأهداف والحاجيات التي يسعى المجتمع الى تحقيقها وإشباعها وكذا الوسائل التي يعتمدها في سبيل تحقيق هذه الأهداف وإشباع هذه الحاجيات على اعتبار أن النظام القيمي هو الموجه الحقيقي للنظام الاجتماعي داخل المجتمع من حيث تحديد الأهداف والغايات الكبرى والصغرى للمجتمع والوسائل المتبعة في سبيل بلوغها، خاصة لدى الأجيال الجديدة باعتبارهم الفئة الأكثر حساسية للتغيرات التي تمس بالنظام القيمي للمجتمع لكونه النظام المرجعي المؤسس لهوية المجتمع الثقافية والمحدد لتوجهاته ومنطلقاته الفكرية والعملية.

والثقافة العربية كغيرها من الثقافات بالعالم تعيش مجموعة من التحولات العالمية وما أفرزته العولمة كنظام عالمي جاء بجملة من القيم والمعايير الاستهلاكية روج لها من خلال تكنولوجيا الاتصال الحديثة وهو ما جعل فضاءها السوسيو-ثقافي اليوم يتضمن تداخلا بين التقليدي والحداثي على صعيد العلاقات الاجتماعية وطرق العيش وأساليب التفكير وأنماط السلوك، وصراعا بين مرجعيات ثقافية متباينة الاتجاه، علمانية وسلفية وأخرى تسعى للجمع بين المتناقضين في إطار واحد سبب هذا الصراع العديد من الأزمات الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية.

من هذا المنطلق سنحاول في هذا العمل تحديد طبيعة التحولات التي مست الهوية الثقافية للمجتمعات العربية في ظل العولمة الثقافية من حيث التحديات التي فرضتها على البناء الثقافي لهذه المجتمعات واقتراحا لآليات مواجهة هذه التحديات، وانطلاقا مما سبق تتحدد إشكالية هذه الدراسة في التساؤلين التالين:

كيف انعكست العولمة الثقافية على الهوية الثقافية العربية؟

ماهي آليات مواجهة التحديات التي فرضتها العولمة الثقافية على الهوية الثقافية العربية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قمنا بصياغة مجموعة من التساؤلات الفرعية كالتالي:

1. ما هو دور عولمة الاقتصاد في فرض العولمة الثقافية على المجتمعات العربية؟

2. ما هو دور عولمة الاتصال في تكريس منطلقات العولمة الثقافية بالمجتمعات العربية؟
3. ماهي التحديات التي فرضتها العولمة الثقافية على الثقافة العربية؟
4. ماهي انعكاسات التحديات الثقافية للعولمة الثقافية على الشباب العربي؟
5. ماهي آليات مواجهة الثقافة العربية لتحديات العولمة الثقافية؟

أهداف الدراسة: تأسيسا على طبيعة التساؤلات التي تبحث فيها هذه الدراسة تتحدد أهداف الدراسة كالتالي:

1. التعرف على دور عولمة الاقتصاد في فرض العولمة الثقافية على المجتمعات العربية.
2. التعرف على دور عولمة الاتصال في تكريس منطلقات العولمة الثقافية بالمجتمعات العربية.
3. التعرف على التحديات التي فرضتها العولمة الثقافية على الثقافة العربية.
4. التعرف على انعكاسات التحديات الثقافية للعولمة الثقافية على الشباب العربي.
5. تحديد آليات مواجهة الثقافة العربية لتحديات العولمة الثقافية.

أهمية الدراسة:

تتأتى أهمية الدراسة من أهمية المتغيرات التي تسعى إلى دراستها وهي الهوية الثقافية العربية والعولمة الثقافية اللتان تعدان من أبرز الظواهر الاجتماعية التي سال لأجل تفسير العلاقة بينهما الكثير من المداد نظرا لأهميتها في تحديد مستقبل الأمم والشعوب الحضاري والتنموي والوجودي.

منهج الدراسة:

بالنظر في طبيعة موضوع وتساؤلات الدراسة والأهداف المراد بلوغها من هذه الدراسة يتحدد طبيعة المنهج المناسب لها وهو المنهج الوصفي، الذي اعتمدناه في جمع المعلومات حول المتغيرات المدروسة وتحليلها وتفسيرها لبلوغ الاستنتاجات التي تجيب على تساؤلات الدراسة.

أولا: مدخل مفاهيمي:

1. مفهوم العولمة:

يختلف الباحثون حول تحديد معنى مفهوم العولمة، حيث يرجع البعض هذا الاختلاف إلى نظرية العولمة بحد ذاتها التي لا تزال في طور التشكيل والتطور.

يشير مفهوم العولمة من الناحية اللغوية حسب **الجابري** إلى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. ويؤكد "الجابري" أن مفهوم "العولمة" يختلف عن مفهوم العالمية فالعولمة نزعة توسعية، في حين أن العالمية هي طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي. فالعولمة احتواء للعالم والعالمية تفتح على العالم.(الجابري محمد، 1998، ص ص 16، 17)

ومنه فالعولمة لغويا تشير إلى التعميم والانتشار لنمط معين سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة.

وعرفها J.Tomlainson بأنها:" تشير إلى الفعاليات المضطردة المتنامية التي تخص الاتصالات الاندماجية المعقدة بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على النطاق العالمي... العولمة هي الحركة الاجتماعية التي تتضمن انكماش البعدين الزمني والمكاني".(Tomlinson.J,1991, p23)

ويرى R.Robertson أن العولمة "تشير إلى العملية التي من خلالها تزداد إمكانية رؤية العالم كمكان أو حد، بالإضافة إلى الطرق التي تجعلنا في حالة وعي بهذه العملية". (Robertson.R,1992, p114)

أما بالنسبة إلى M.Featherstone فيعرفها بأنها "الامتداد الخارجي للثقافة المحلية المعينة إلى أقصى حدودها، أي العالم أجمع. وبذلك تصبح الثقافات المختلفة منخرطة في الثقافة الغالبة التي سوف تغطي بعد حين، جميع العالم".(Featherstone. M, 1990, p6)

ويؤكد هذا التعريف الكاتب M.Albrown عندما يعتقد أن العولمة تشير إلى "جميع العمليات التي بواسطتها ينخرط جميع سكان العالم في مجتمع عالمي أوحد هو المجتمع العالمي". (Albrawn.M et all(eds),1990, p20)

ومن ثمة لابد من النظر إليها ليسكمفهوم مجرد، فهي عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مختلف المجالات. (السيد ياسين، 1998، ص 6)، لاسيما وأن هذا المفهوم قد انتشر تزامنا مع الترويج لظاهرة اقتصاد السوق الحر بعد انهيار النظام الاشتراكي في أوروبا الشرقية، وتوافق مع مفاهيم أخرى لنفس الغرض، مثل نهاية التاريخ، الإدارة العليا، حقوق الإنسان، المجتمع المدني، صراع الحضارات والتي تعني كلها الجنساوية. (حسن حنفي،1999، ص 4)

وما يمكن تسجيله من ملاحظات بخصوص هذا المفهوم وتعريفاته المدرجة في هذا المقام، هو:

- الاختلاف الواضح في وجهات النظر العلمية للعولمة، ما انعكس على تعريفاتها، ومن ثمة في سبل التعامل معها وآليات مواجهتها.
- أن العولمة ليست ظاهرة جديدة كما قد يعتقد أغلبيتنا وإنما هي نتاج تطور تاريخي، وزاد استخدام المصطلح بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وفكك الكتلة الاشتراكية وتحول دولها إلى اقتصاديات السوق والحرية الاقتصادية، وأن المصدر المروج لهذه الموجة الجديدة من الأفكار هو الدول المنتصرة من العالم، أما الدول المنهزمة (العالم الشيوعي) أو الدول الواقفة كمتفرج (العالم الثالث) فالأمر بالنسبة لها ليس بهذا الوضوح.
- يمكن القول من ثمة أن هذه الفكرة قد لا تكون صحيحة وإنما مجرد ما يتمتع به صاحبها من نفوذ. فمن الطبيعي أن يظن المنتصر أن انتصاره يدشن عهدا جديدا مختلفا اختلافا جذريا وأفضل بكثير مما كان سائدا في الماضي.

2. مفهوم الهوية الثقافية:

قبل التطرق إلى مفهوم الهوية الثقافية نعرج على ذكر تعريفات للمفاهيم المركبة له حتى يتسنى لنا تحديد دلالته كالتالي:

1.2. **مفهوم الثقافة:**

يعد مفهوم الثقافة من المفاهيم السوسيولوجية الأكثر تعقيدا مما أحدث اختلافا واضحا بين علماء الاجتماع سواء في تحديد موضوع الثقافة أو طبيعتها ومكوناتها أو ما يتعلق بتعريف المصطلح في حد ذاته ونحاول تقديم جملة من التعريفات تبعا للترتيب الزمني: (سامية حسن الساعاتي، 1983، ص35-53)

- **تعريف تايلور:** ربما كان أشهر تعريف للثقافة، هو التعريف الذي وضعه عالم الأنثروبولوجيا **" تايلور"** وهو أن: "الثقافة... ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع".

- **تعريف بوجاردس:** عرفها بأنها" المجموع الكلي لأساليب الفعل والتفكير الماضية والحاضرة لجماعة اجتماعية وهي تمثل مجموعة التقاليد والمعتقدات والأعراف المتوارثة".

- **تعريف مالينفسكي** : "الثقافة هي ذلك الكل المتكامل الذي يتكون من الأدوات والسلع والخصائص البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والحرف والمعتقدات والأعراف".

- **تعريف بارسونز:** "إن الثقافة تتكون من تلك النماذج المتصلة بالسلوك بمنتجات الفعل الإنساني التي يمكن أن تورث بمعنى أن تنتقل من جيل إلى جيل بصرف النظر عن الجينات البيولوجية"

والثقافة تختلف عن العلم الذي ينشد الحقيقة من خلال النظريات التي يصوغها، "ونلاحظ أن التطبيق الفني الذي يقوم به الناس لسد حاجياتهم لا يعتمد على العلم وحده في كل الأزمان، وفي كل المجتمعات، بل في المجتمع الواحد، فنجد أحيانا أن الجماعات وخاصة البدائية منها تعتمد في التطبيق الفني على جوانب غيبية أو ظنية "(عبد المنعم نور، 1970، ص36)

2.2. الهوية

حظيت مسألة الهوية بالخصوص باهتمام الكثير من المفكرين والأدباء في مختلف الثقافات، وقد شخصها **إليكسميكشيللي** بأنها عبارة عن "مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي".

وفي هذا الصدد يرى **تركي الحمد** أنه طالما أن الهوية مركب من عناصر فهي بالضرورة متغيرة في الوقت ذاته الذي تتميز فيه بثبات معين بمثل ما أن الشخص الواحد يولد ويشب يشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وذوقه، أي شخصيته خلال ذلك ولكن يبقى هو ليس أحدا آخرا.(نورالدين بومهرة، 2001، ص 212)

. يعرف **إريكسون** الهوية، بأنها"المجموع الكلي لخبرات الفرد وتتكون من عنصرين هما: هوية الأنا وهوية الذات وترجع **هوية الأنا** إلى تحقيق الالتزام في بعض النواحي كالعمل والقيم الإيديولوجية والسياسية والدين وفلسفة الفرد لحياته، أما **هوية الذات** فترجع إلى الإدراك الشخصي للأدوار الاجتماعية ويذكر كذلك أن للهوية بعدين هما: البعد الإيديولوجي والبعد الاجتماعي". (طلال عبد المعطي مصطفى، 2002، ص 79)

. ويعرفها **جيمس إ. مارشيا:** بأنها تنظيم داخلي معين للحاجات والدوافع والقدرات والمعتقدات والإدراكات الذاتية بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي السياسي للفرد.(طلال عبد المعطي مصطفى، 2002، ص 82)

. كما يمكن تعريفها على أنها: عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية، ومن السمات التي تميز الأفراد عن بعضهم: الاسم، الجنسية، السن، الحالة العائلية والمهنة ...

وتنص القوانين عادة على إثبات صفة الفرد بمقتضى بطاقة شخصية، تساعد هذه البطاقة الفرد في تسهيل معاملاته المختلفة مع الجهات التي تطالب بإثبات شخصيته، أما مبدأ الهوية المقصود به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو ويهيمن هذا المبدأ على الأحكام والاستدلالات الموجبة، ومن شأنه أن يجعلنا نحرص على ألا نخلط بين الشيء وما عداه، وألا نضيف للشيء ما ليس له. (خليل أحمد خليل، محمد علي الكبسي، 2001، ص 203)

وعليه **فللهوية الثقافية ، هي :** "ما يمنح الناس مشاعر الانتماء والأمن والاندماج بالجماعة، حيث تزودهم بالمعايير المشتركة التي تمكنهم من التواصل والتفاعل وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة وبإمكانيات التوقع بسلوك الآخرين، مما يساهم ببناء شعور الثقة بين الناس. ومكونات الهوية تشير إلى ما يمكن تسميته بالرأسمال الاجتماعي، حيث تساهم الهوية الثقافية إلى درجة كبيرة في التمييز بين الجماعات." (سمير إبراهيم حسن، 2007، ص 432)

فالهوية الثقافيةتتضمن منظومة القيم أو المعايير القياسيةالتي تتميز بها جماعة أو مجتمع بين ما هو جيد وما هو سيئ، بين ما هو مرغوب وما هو غير مرغوب.

وتتحدد الهوية الثقافية عموما بالإجابة عن الأسئلة: من نحن؟ ما خصائصنا؟ بماذا تتميز شخصيتنا؟ وبماذا نختلف عن الآخرين؟ ما العوامل المشتركة بيننا؟ ما الثوابت وما المتغيرات في تكوين شخصيتنا؟ ما التغيرات التي يمكن أن تحدث أو التي يمكن إحداثها دون أن تتشوش هويتنا؟ (سمير إبراهيم حسن، 2007، ص 432)

والإجابة عن هذه الأسئلة غالبا ما تحيل الباحث عنها إلى التراث باعتباره يشكل شخصية من يبحث عن الجواب، لذلك فجوابنا نحن العرب يكمن في تراثنا فهو شخصيتنا الحضارية وهويتنا الثقافية. ولكن ما التراث؟ بالرغم من أن الفصل في جواب هذا السؤال يبقى رهين الاختلاف حول تحديد المفهوم لأنه ظل دائما شأنا متعلقا بانتماءاتنا واتجاهاتنا الإيديولوجية بالدرجة الأولى، ما جعل من مفهوم الهوية هو الآخر متعددا بتعدد مصالحنا وأيديولوجياتنا.

مع ذلك فالمبدأ العملي في فهم الهوية وتحديدها يقول باعتبارها كيان تاريخي خاضع للتغير والتطور، لأنه لا يمكن فهم الهوية خارج التاريخ، لذلك فغالبا ما يتم الحديث عنها بربطها بالحداثة والأصالة والمعاصرة والذات العربية والذهنية العربية، وهي صفات أو مواقف ارتبطت بها.

ومنه فالهوية الثقافية لا تعني الانغلاق على الذات أو على التراث والثبات وعدم الحركة إلى حد السكون، لأنه يقود إلى الموت والاندثار، بل هي القدرة على الاستمرار والتجدد الدائم والحوار النقدي الإيجابي تماشيا مع المتغيرات الجديدة والتي تفرض نفسها غصبا عنا. (سمير إبراهيم حسن، 2007: 233)

والهوية الثقافية أيضا : "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره أي تحديد حالته الشخصية، ومن السمـــات التي تميز الأفراد عن بعضهم: الاسم، الجنسية، السن، الحالة العائلية والمهنة..." (خليل أحمد خليل، محمد علي الكبسي، 2001، ص 203)

وهي بذلك عملية تمييز مجتمع أو جماعة عن غيرها عن طريق سمة من السمات، هي السمة الثقافية التي تشترك فيها هذه الجماعة.

إن العلم وما يوفره من معارف وإبداع وابتكار وما يحققه من انجازات هو مصدر الثقافة ومصدر القوة وبالتالي، يكون مصدر السيطرة التي تبقى لصالح من يعلم ويملك لمواجهة الذين لا يعلمون ولا يملكون، ومن هنا كان حرص هؤلاء الذين يعلمون ويملكون على احتكار المعلومات والمعرفة والتكنولوجيا التي توصلوا إليها، للاحتفاظ بمصدر السلطة والثروة.

ثانيا: العولمة الاقتصادية وانتاج ثقافة العولمة:

إن عولمة الثقافة هي نتاج آليات عولمة الاقتصاد بشكل أساسي، فعولمة الاقتصاد حملت في طياتها إيديولوجية التنميط والاختراق الثقافي التي تركز على صياغة ثقافة عالمية مندمجة لها قيمها وعاداتها وأخلاقياتها ومعاييرها لضبط سلوك الأفراد، الشعوب والدول، وبما أن هذا التنميط يتعارض مع الخصوصية والهوية الثقافية للشعوب، فان النمطية المطروحة تؤدي إلى تطويع الأفراد أينما كانوا وسلبهم إرادة الاختيار كون السلع و الخدمات المستوردة تحمل معها ثقافة المجتمع القادمة منه، مما يؤدي مستقبلا إلى تغيير ثقافة الأفراد إراديا أو لا إراديا ما يؤدي إلى تشويش الشخصية الثقافية الوطنية و تعطيل فاعلية العقل.

هذا التأثير يكون بشكل أكبر على الدول التي تكون ثقافتها ذات أبعاد مختلفة كالجزائر: عربية، إسلامية، أمازيغية، متوسطية، افريقية، عالمية، وأمام هذه الوضعية لم تستطع القوى الداعية للتوجه الوطني (العربي- الإسلامي) من فرملة اكتساح الثقافة الغربية الناتجة عن العولمة و التي تكون بالنسبة لهذه الدول مخرجا لتجاوز بعض الإشكاليات الوطنية من بينها الإشكالية اللغوية، و ذلك باندماجها في شبكات التبادل العالمية و التي تعتمد اللغة الانجليزية لغة للتخاطب والبحث وعليه تتجنب الصراع الداخلي العقيم الذي يتغذى من خلال حقنه بأبعاد الهوية الثقافية التي أصبحت أكثر قابلية للانكسار.(علي غربي، 1999، ص46)

وبالتالي من الطبيعي أن يكون المدخل للعولمة هو مدخل ثقافي قبل أي شيء آخر، باعتبارها موقفا من الهوية الثقافية قبل أن تكون هيمنة اقتصادية أو تبعية سياسية فهي جزء من آليات الدفاع عن الذات في مواجهة الآخرين إثباتا للأنا ضد سيطرتهم. (عبد اللطيف صوفي، 2001، ص72)

وانطلاقا من ذلك تكون **العولمة الثقافية** آلية لترسيخ هيمنة هوية ثقافية معينة ليست إلا ثقافة الغرب، والتي هي امتداد للرأسمالية في بعدها القيمي الثقافي بكلمة واحدة هي خاصية الأقوى ويبقي الآخر تنطبق عليه كل المواصفات القبيحة. (علي غربي، 1999، ص ص 42، 43)

وتقوم العولمة الثقافية بتعميم أزمة الهوية، حيث يتضاءل مع تزايد الثقافات الأقوى في فضاء مفتوح وزن الثقافات الوطنية ونفوذها... " وتسعى العولمة الثقافية إلى نخر الهوية القومية الوطنية للمجتمعات عبر الاستلاب والتهجين وفرض نسق واحد من القيم الاستهلاكية والتي من جرائها شهد العالم انفجارا ضخما للانفعالات المستقبلية من أي عقال ضابط إلى حد إعادة الاعتبار المعرفي إلى كلمة "قبائل"، التي تعد كلمة مفتاحية في فهم حروب الهويات والإثباتات والطوائف المشتعلة بؤرها في آسيا وافريقية بوجه خاص وكذلك في قلب أوروبا حتى بتنا أمام تجزئة العالم الوجه الآخر للعولمة". (حسن عبد الله العايد، 2004، ص 19)

وفي سياق تأثيرات ثورة تقنية المعلومات وارتباطاتها الوثيقة بالتحديث والابتكار وانتشار وسائل الاتصال والمعلومات بشكل واسع، بما تحمله من نقل للقيم الثقافية يرى البعض أن العولمة تختص في مجال التحديث بالثقافة وهي تهم علماء الاجتماع إذ يتحدثون عن الثقافة العالمية ومفهومها وفي ذلك يقول **فيدرستون** أنه: "من الصعب الحـديث عن ثقافة عالمية لكنه يشير إلى أن هناك عمليات تحول نحو التكامل والتشابه من جهة ونحو التشرذم والتفكك الثقافي من جهة أخرى". (فضيل دليو وآخرون، 2002، ص 118)

وبالتالي تكون العولمة الثقافية سيطرة وهيمنة ثقافة واحدة على جميع ثقافات الشعوب والأمم ومحاولة توحيدها وصهرها في بوتقة ثقافة واحدة هي ثقافة العولمة الساعية إلى توحيد نمط الحياة المعاشة ... " فالعولمة الثقافية تعني إشاعة قيم ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله نموذجا كونيا، يتوجب تبنيه وتقليده، وقد استفادت من التطور الهائل والسريع في وسائل وأجهزة الإعلام والتقنيات العلمية المعرفية في نقل وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى". (حسن عبد الله العايد، 2004، ص 19)

ثالثا: عولمة الاتصال والتوسع الثقافي للعولمة:

1. **وسائل الإعلام والاتصال:**

يستخدم المجتمع نظامه الإعلامي كمعلم لنقل التراث الاجتماعي والثقافي من جيل لآخر وتؤثر تقنيات تكنولوجيا الإعلام والاتصال المختلفة بما تنشره وتعرضه من معلومات وحقائق وأخبار ووقائع وآراء وأفكار لتحيط الناس عامة والشباب خاصة بموضوعات معينة من السلوك مع إتاحة فرصة الترفيه والترويح وقضاء وقت الفراغ.

ومن مميزاتها أنها غير شخصية تعكس جوانب عدة من الثقافات المتباينة ويزداد أثرها تعاظما وأهمية في المجتمع، إذ تعمل على إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية إلى بعض المعلومات ودعم الاتجاهات وتعزيز القيم والمعتقدات أو المساهمة في تعديلها.

وتبرز انعكاسات وسائل الإعلام والاتصال على ثقافة الشباب من خلال نوع وسيلة الإعلام أو الاتصال المتاحة للفرد وطبيعة رد فعل الفرد لما يعرض عليه، خصائص شخصية الفرد، وما تحققه هذه الوسائل من إشباع للحاجات ودرجة الإدراك وردود الفعل المحتمل من المحيطين به.

وتتعاظم أهمية هذه الوسائل والتكنولوجيات كمصدر من مصادر بناء ثقافة الشباب الجزائري خاصة في السنوات الأخيرة التي شهدت انفجار الثورة المعلوماتية المتعددة الآليات والمتنوعة المجالات، ليجد الشاب نفسه أمام صعوبة الاختيار والانتقاء أمام ما يعرض من آليات تكنولوجية اتصالية وإعلامية وبرامج ومواقع تشبع جل الحاجات التي يرغب الشاب في إشباعها: ثقافية، اجتماعية، جنسية، ترفيهية، دينية، علمية..، إذ يجد الشاب في إقباله على الهوائيات المقعرة الرقمية، العادية والمشفرة، الهواتف النقالة، الانترنت، ...الملاذ لإشباع ما عجزت الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق عن إشباعه من حاجات لدرجة أن من العلماء والباحثين من أطلق على هذا العصر بعصر المعلومات الذي أختزل فيه العالم ليصبح أشبه بالقرية الكونية وهذا ما أشار إليه **ماكلوهان** في مقولته: " لقد أصبحت الكرة الأرضية أشبه بالقرية الكونية ، وذلك بعد ما تم اكتشاف التلفزيون أين تراجعت مساحة الاتصال الإنساني وانعزال المواطن داخل حدود الدولة التي يعيش فيها ومع انتشار الكمبيوتر الشخصي وظهور شبكة الانترنت، أصبح الإنسان حبيس غرفته ولذلك ظهرت تلك الصورة التي تجسد كل تناقضات عصر المعلومات والثورة التكنولوجية، أي صورة إنسان حبيس غرفته يتواصل مع أقرانه حبيسي الغرف أيضا عبر الفضاء الالكتروني في قرية كونية واحدة". (سليمان ابراهيم العسكري، 2001، ص 08)

2 . تكنولوجيا المعلومات كآلية لثقافة العولمة وعولمة الثقافة:

بما أن الثقافة هي الطرق التي يوجدها المجتمع لسد حاجاته الأساسية وتقوم بتنظيم علاقاتها الاجتماعية. (محمد عبد المنعم نور، 1970، ص 36)، وهي تلك الأشياء المادية من صنع الإنسان واللامادية من معارف وأفكار وأديان وعقائد، باختصار هي كل أوجه النشاط الإنساني الناجمة عن الاجتماع الإنساني، ولكل مجتمع هوية ثقافية، ومن شأن كل هوية أن تكون فريدة وأن تكون لها معالمها وملامحها المميزة، لكن تأتي تكنولوجيا الاتصال باعتبارها "مجموعة من الآلات والمعدات والتقنيات والمعارف العلمية والأفكار والوسائل التي يعتمد عليها الإنسان لتحقيق حاجياته في بيئة اجتماعية معينة". (فضيل دليو، د س، ص 135) مع التزايد الشديد في سرعة تطورها واتساع دائرة انتشارها وارتباطها الوثيق بتكنولوجيا المعلومات لتؤثر في الهوية الثقافية للمجتمعات آثار واضحة، "حيث ساعدت وسائل الإعلام العديدة على انتشار أفكار جديدة خاصة بالمساواة والعدالة وتكافؤ الفرص وحق الحياة الكريمة لكل فرد في المجتمع". (طه عبد العاطي نجم، 1998، ص 316) لدرجة جعلت المحافظة على هذه الهوية وحمايتها واحدة من قضايا العصر ودفعت الكثيرين للحديث عن "غزو ثقافي" تحمله تكنولوجيا الاتصال والمعلومات للدول والمجتمعات.

وفي الناحية المقابلة لهذا التصور فإن اعتبار التكنولوجيا تمثل جانب الثقافة المتضمن المعرفة والأدوات التي يؤثر بها الإنسان في العالم الخارجي، ويسيطر على المادة لتحقيق النتائج العلمية المرغوب فيها، وكونها ظاهرة ثقافية، تختص بالجانب التطبيقي للمهارات والخبرات والمعارف الإنسانية، التمس بعض المفكرين في منتجات هذه التكنولوجيا وسائل لدفع عجلة التقدم والإسراع بخطى التنمية، واعتقدوا أنها تستطيع تغيير بعض ملامح هذه الهوية بما يشبه جراحة التجميل ويطالبونها بأن تفعل ذلك. (حسين العودان، 1997، ص 34)

وبالتالي تبرز العلاقة بين تكنولوجيا المعلومات والثقافة من خلال دور التكنولوجيا عامة وتكنولوجيا المعلومات خاصة في عملية التغيير الثقافي وما تحمله هذه التكنولوجيا من مضامين ثقافية، حيث مثلت تكنولوجيا الطباعة عاملا أساسيا في محو الأمية وكسر احتكار المعرفة، ما انعكس على الحرية السياسية وزيادة الحضرية، كما ساعد التلفزيون وبرامجه على تقارب الشعوب من خلال انتشار المسلسلات والأفلام التي تعكس واقع المجتمعات وثقافتهم، وإذا كانت الدول المتقدمة بحاجة إلى الثقافة بمعناها الواسع لتسريع عملية التقدم والتطور، فإن الدول التي تسعى إلى التقدم وتسير نحو التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري بحاجة أكبر إلى الثقافة كوسيلة لمواجهة ظاهرة التخلف والجمود والبطالة .... ولمواجهة التحديات والمخاطر التي تهدد الأمة.

رابعا: تحديات العولمة على الهوية الثقافية العربية:

يتحدث **حسن حنفي** عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية فيؤكد أنها مقدمة لمخاطر أعظم على الدولة الوطنية والاستقلال الوطني والإدارة الوطنية والثقافة الوطنية. حيث يرى ما يلي:

أ. أن العولمة تعني مزيدا من تبعية الأطراف للمركز وتجميعا لقوى المركز وتفتيتا لقوى الأطراف، بما في ذلك الدولة الوطنية التي قامت بدور التحرر الوطني وتحديث المجتمع والتي قاومت شتى أشكال الهيمنة القديمة والجديدة حتى انهيار المعسكر الاشتراكي.

ب. أنها تقذف بمفاهيم جديدة أشبه بالسوط على ظهر من لا يدخل بيت الطاعة في نظام العالم الجديد، مثل: حقوق الإنسان، حقوق الأقليات، حقوق المرأة. وقوى الدعم الغربي لمراكز حقوق الإنسان بالمفهوم الغربي الفردي دون مراعاة لحقوق المواطنة وحقوق الشعب.

ت. انتشار البحوث عن الأقليات العرقية والطائفية من أجل إبراز الخصوصيات والهويات والتعدديات الثقافية للقضاء على وحدة الثقافة، ووحدة الوطن، ووحدة التاريخ ووحدة المصير. وانتشرت مشاريع دراسة المرأة وجمعياتها، وأدخل مفهوم النوع في كل شيء، في ثقافات لم تعرف بعد مفهوم المواطنة التي لا تفرق بين ذكر وأنثى. وغاب النضال الوطني بخلق عدو وهمي للمرأة هو الرجل بينما المرأة والرجل كلاهما ضحيا عدو مشترك هو التقاليد والتخلف والقهر والفقر والاستبعاد.

وبطريقة لا شعورية وتحت أثر تقليد المركز والانبهار بثقافته يتم استعمال طرق تفكيره ومذاهبه كإطار مرجعي للحكم دون مراجعة أو نقد. وتتبنى ثقافة الأطراف كل ما يصدر من المركز من أحكام خاصة: ثنائيات الحس والعقل، وتعارض المثالية الواقعية الكلاسيكية والرومانسية، وتعارض الدين والعلم، والفصل بين الدين والدولة، والانقطاع مع القديم. وكلها أحكام صدرت في المركز بناء على ظروفه الخاصة ولا يتم تعميمها على غيره من ثقافات الأطراف التي قد يكون فيها اتفاق شهادة الحس وشهادة العقل وشهادة الوجدان، والجميع بين المثالية والواقعية كما حاول **الفارابي** من قبل الجمع بين رأيي الحكيمين **أفلاطون و أرسطاليس الحكيم**، وخروج العلم من ثنايا الدين، وقيام الدين على تصورات العلم، واستنباط شريعة وضعية تجمع بين القيم الدينية العامة وهي مقاصد الشريعة التي هي في نفس الوقت مجموع المصالح العامة، والتواصل بين القديم والجديد، المسيحية من اليهودية، و الإسلام من المسيحية واليهودية معا. يفكر الهامش بمقولات المركز، ويعمم أحكامه، ويقع في خطأ الانتقال من الجزء إلى الكل دون أن يرد هذه الأحكام إلى ظروفها التي نشأت فيها ويتحرر منها ويقيم أحكامه الخاصة بناء على ظروفه الخاصة التي قد تختلف مع ظروف المركز وأحكامه وقد تتفق. تمنع ثقافة المركز إذا، نظرا للانبهار بها وتقليدها وتبنيها وإطلاقها واعتبارها الثقافة العالمية الممثلة لجميع الثقافات، والتجربة النموذجية التي تحدو حدوها كل التجارب الأخرى. تمنع إبداعات الأطراف الذاتية والتفكير المستقل، والانعكاف على الذات وممارسة قوى التنظير الطبيعية في كل عقل بشري، واستنفار كل الاجتهاد الكامن لدى كل الشعوب. فالغرب ليس بدعة، ولا نسجا عبقريا على غير منوال، ولا يتمتع بقدرة فريدة على التنظير دون غيره. بل أن قوى رفض الماضي، الكنيسة وأرسطو، هي التي دفعته إلى التوجه نحو الواقع والمجتمع اعتمادا على العقل البديهي. فأنشأ العلم التجريبي، وأقام المجتمع على العقد الاجتماعي، وانتقل من التمركز حول الله والسلطان إلى التمركز حول الإنسان والدستور، وليس هناك ما يمنع أية ثقافة من التحول الطبيعي من التقليد إلى الاجتهاد واعتمادا على الجهد الإنساني سواء على نفس نمط المركز أو على أنماط أخرى، فتتعدد الإبداعات البشرية، ولا يتم إيقافها أو إجهاضها بتقليد نموذج واحد في إبداع المركز.

وبمقدار ما يزداد التقريب في المجتمع، وتنتشر فيه القيم الغربية، والعادات الغربية وأساليب الحياة الغربية خاصة عند الصفوة التي بيدها مقاليد الأمر مع شريحة كبيرة من الطبقة المتوسطة، يزداد تباعد الجماهير عنها واتجاهها إلى ثقافتها وتمسكها بتقاليدها فالفعل يولد رد الفعل المضاد، ليس المساوي له بل الأعنف منه، فينشأ مبدأ الدفاع عن الأصالة والتمسك بالهوية. (حسن حنفي، 2004، ص 526-529)

والحديث عن وضع دول العالم الثالث في ظل الزخم الكوني يبقى مثيرا للقلق والاستفسار، في محاولة لإيجاد بعض المؤشرات لتموقعها وفهم تجليات العولمة السياسية ، والمتمثلة في سقوط الشمولية والسلطوية والنزوع إلى الديمقراطية والتعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان، الثقافية وتتمثل في صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها، الاتصالية والمتمثلة في تكثيف البث التلفزيوني وفق شبكات الأقمار الصناعية من خلال شبكة الانترنت.

وبهذا تشكل العولمة تحديا كبيرا للمجتمعات الإنسانية عامة وللمجتمعات النامية على وجه أخص، خاصة منها الدول العربية وعلى جميع الأصعدة: الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية.

والمجتمع الجزائري كسائر المجتمعات النامية شهد العديد من التحولات الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية عبر مراحل تاريخية مختلفة، حيث انجر عن التغيرات الحاصلة في البناء الاقتصادي للمجتمع الجزائري وأحداث 5 أكتوبر 1988، وما حدث فيها من تقتيل وتخريب العديد من التغيرات على جميع الأبنية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية، ولعل أهم ما يميز هذه الأزمة على **المستوى الثقافي** هو الاختلال الحادث في سلم القيم والمعايير التي تحكم وجود المجتمع، العاجز عن تحقيق الانتقال من وضعية تقليدية متميزة بسيطرة بنى اجتماعية قائمة على روابط الدم والعرق والانتماء إلى مجموعات تضامنية محدودة في الزمان والمكان تحدد هويتها عوامل مثل الدين واللغة، في عزلة عن التفاعل مع المحيط ومواجهة التحديات والضغوط التي يفرضها وسط ثقافي متنوع ومتجدد في بنائهوتعابيره ودلالاته القيمية والمعيارية، ذلك أن المجتمع العصري يقوم على أساس التنوع والتعدد المستند إلى خاصيات: مهنية، مهارية، وعقائدية مرتبطة بدور الأفراد والمجموعات ودورهم ومكانتهم في البناء الاقتصادي. (فضيل دليو، د س، ص 147)

وعند الحديث عن الأزمة الجزائرية في بعدها الثقافي، لا نغفل إحدى القضايا الهامة التي تنعش الجانب الثقافي للأزمة، وهو ما يتعلق بمسألة الهوية والتي تطرح اليوم وبحدة في صورة نقاش حاد بين تصورين يرى كلا منهما أن تصوره يحدد هوية الجزائري الثقافية:

التصور الأول، الذي يتبناه دعاة الأصالة والحفاظ على الثوابت، و **التصورالثاني** يدعو إليه أنصار التحديث والتفتح على العالمية.

كما لم تنج اللغة من هذا النقاش، فقد طرحت المسألة اللغوية للنقاش (مكانة كل من العربية، الأمازيغية، الفرنسية) في الحياة العامة، في المدرسة وعالم الشغل والإعلام. (فضيل دليو، د س، ص ص 147، 148)

وقد جعل هذا الطرح الثقافي الأشكال الأخرى لكل مجتمع شخصيته الثقافية المتمثلة في مجموع الأساليب التي يمارس بها إنسانيته، وتتمثل في: العادات، المعتقدات، اللغة والتراث، سواء المسجل أو الشفوي، والإنتاج الفكري الأدبي والفني، يجد فيها الفرد وسائله المفضلة للتعبير عن الذات، وهذه الذاتية الثقافية هي القوة التي تحرك المجتمعات البشرية وتؤدي إلى تماسكها، وتدفع إلى النضال ضد أية قوة خارجية تحاول السيطرة عليها، وهي التي تؤدي إلى تعبئة موارد المجتمع والاتجاه بها نحو الأفضل.

لكن مع التطور التكنولوجي البالغ السرعة في وسائل الإعلام وسيطرة مجموعة محدودة من الدول على هذه التكنولوجيا وامتداد هذه السيطرة إلى النتاج الثقافي والإعلامي أصبحت الجزائر وباقي المجتمعات العربية

ومجتمعات العالم الثالث بصورة أوسع تواجه تحديا ثقافيا وإعلاميا متعدد الأبعاد من شأنه خلق قيم اجتماعية وثقافية غير ملائمة.

خامسا: انعكاسات التحديات الثقافية للعولمة الثقافية على الشباب العربي

يجد الشباب عامة في التكنولوجيا ملجأ لإشباع حاجاته التي يسعى لإشباعها بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة، ففي عصرنا الراهن، عصر المعلومات يتهافت الشباب على تكنولوجيا المعلومات بمختلف تقنياتها، لاسيما الانترنت كأهم مصدر لإشباع حاجاته العاطفية، الجنسية، التعليمية، الترفيهية، الثقافية، وبما أن وسائل الاتصال الحديثة و تكنولوجياتها تتمركز في عواصم الدول المتقدمة و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية فهي تستخدمها فيما يحقق سياستها الثقافية والإعلامية إلى جانب السياسات الأخرى بغرض السيطرة و التحكم باستخدام المنتجات الثقافية والإعلامية بالكيفية التي تريد و التوجه الذي ترغب، و بما يخدم أهدافها، حيث أصبحت هذه المنتجات و مضامينها عبارة عن انسياب باتجاه واحد، الأمر الذي نتج عنه سيطرة ثقافة واحدة هي ثقافة الأقوى التي تعمل على طمس الثقافات الأخرى و تهميشها بما يقضي على هويتها الثقافية، فسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على 65 ٪ من وسائل الإعلام قد زاد من تخوف حتى الدول المتقدمة إزاء مخاطر الهيمنة الأمريكية على الإعلام و الثقافة تحت ستار العولمة، و إذا كان هذا حال الدول المتقدمة، فكيف إذن بالجزائر و الدول العربية و دول العالم الثالث التي تتميز بخصوصية بالغة الحساسية نظرا لعدة اعتبارات جعلت هذه المنطقة تحتل موقعا استراتيجيا على الخريطة الجيو- سياسية و الاقتصادية، التي يجري الإعداد لها بشكل سريع في ظل صراع المواقع بين الأقوياء. ويتمثل الموقع الاستراتيجي لهذه المنطقة بالذات في ارتباطها بعمق تاريخي وحضاري متميز، حيث يركز العرب على التاريخ والثقافة للتأكيد على وجود أمة تعمل لمد الجسور وإعطاء الأولوية لعمقها الثقافي والحضاري.

لذا فقد تأثر الشباب في الدول العربية تأثرا ملحوظا بالقيم الغربية الدخيلة على المجتمع العربي الإسلامي، ويرجع ذلك إلى التطور المفاجئ الذي حدث في تكنولوجيا المعلومات، وما صاحبها من تجليات على هذه المجتمعـات، ما شكل تهديدا اجتماعيا وثقافيا يستوجب المواجهة، و تتوقف قدرة المجتمع العربي في المحافظة على السمات الثقافية على مدى الدعم التراثي الذي يقدمه المجتمع المحلي، الذي تخضع ثقافته و أوضاعه الاجتماعية لغزو من الخارج ، فإذا كان تراث هذا المجتمع قويا و مستوعبا في البنية الدافعة لأبنائه، وقادرا على إشباع حاجاتهم الأساسية، فإنه من الصعب أن ينهزم هذا المجتمع أمام أي عناصر ثقافية، أو أن تؤثر فيه آليات الهيمنة الثقافية المدعمة بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

وعندما نتحدث عن المجتمع الجزائري نضع في الاعتبار مخلفات 132 سنة من الاستعمار كانت انعكاساتها ثقافية أكثر منها اجتماعية، سياسية واقتصادية. وما الأزمة التي يعيشها المجتمع الجزائري في العشرينيات الأخيرة سوى إفرازات لتلك الحقبة التي تصورنا في وقت سابق أننا قد تجاوزنها لتطفو على السطح من جديد بشكل جديد معولم يتماشى مع التحولات العولميةويتقولب بقالبها الثقافي المعلوماتي.

وتختلف تكنولوجيا الاتصال في تأثيرها على ثقافة الفرد باختلاف المجتمعات، لاختلاف الآلة التي يستخدمها الأفراد لسد حاجاتهم وتحلل هذه الأداة التكنولوجية إلى ثلاثة عناصر هي:

مصدر القوة المحركة للأداة، طريقة التنفيذ، ومستوى التفاعل الناتج عن استخداماتها.

وقد تطور مصدر القوة مع التطور التكنولوجي، حيث كان الاعتماد الكلي في البداية على اليدين ثم وجه اعتماده على الحيوان كمصدر قوة، ليصل إلى المرحلة المتطورة في اعتماده على الآلات قبل الوصول إلى التكنولوجيا، فقد كان على الإنسـان أن يعرف الكثير عن معظم جوانب العمل الذي يقوم به، إلا أنه في عصر الآلات نجد صفة أخرى ملازمة لنشاط الإنسان التكنولوجي وهي التخصص، ومن خلاله أصبح الإنسان لا يعرف شيئا عن العمل الذي ينجزه إلا الجانب المتخصص فيه. والتكنولوجيا قبل أن تكون آلة أو جهاز معين، فهي فكرة تولدت عن حاجة أو رغبة اجتماعية معينة، وضف إلى ذلك، أن تأثير التكنولوجيا لم يتوقف عند حدود المصنع، بل يشتمل النواحي الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية للمجتمع.

وتتحدد مشكلات الشباب العربي الثقافية في ظل هذه التحولات من خلال جملة من الأزمات التي يواجهها والمتعلقة بأزمة الهوية، أزمة الثقة وأزمة الانتماء والفاعلية، ونوضح فيما يلي موجز لما تعنيه هذه المشكلات، ومدى تأثيرها على البناء الثقافي، الاجتماعي، النفسي والعاطفي للشاب: (عبد الملك ردمان الذناني، د س، ص 50)

1. **أزمة الهوية:**

حيث يعاني كثير من أبناء الأمة من فقدان الهوية الثقافية، وهي أساس ما يعانيه الشباب من أزمات ثقافية، حيث ضعف الانتماء، وعدم الثقة بالذات والقدرات الثقافية، وما يتصل بذلك من حيرة وتجاذبات ثقافية بين الرغبات، والواقع الاجتماعي، والانتماء الثقافي العاطفي، والانجرار السلوكي المقلد للآخرين.

2. **أزمة الثقة:** وتتراوح بين حالة الإحباط واليأس من إمكانية النهوض الثقافي وتشكيل الذات، إلى حالة التشكك في مدى القدرة على مواجهة التحدي الثقافي (غزوا كان أو غير ذلك)، وتمتد إلى حالة الشعور بالعجز عن الوصول إلى الآخر والتأثير فيه.
3. **أزمة الانتماء:** وهي ناجمة بالضرورة عن الأزمتين السابقتين، ففقدان الهوية، وضعف الثقة في الثقافة يحول بين الشباب والتحيز باتجاه فكرة أو جماعة أو أمة على أساس فكرة أو ثقافة جامعة، ويحول كذلك دون التواصل المطلوب مع مصادر الثقافة، وتحديدا: القرآن والسنة والتراث الإسلامي.
4. **أزمة الفاعلية:** إذ كيف لمن فقد الثقة بنفسه وأمته وثقافته أن يكون إيجابيا، وفاعلا ثقافيا ؟ فلا هو قادر على التفاعل مع نفسه وبناء ذاته ثقافيا، ولا هو قادر على التعامل مع التحديات الثقافية المعاصرة وتبعاتها.

هذه المشكلات الثقافية التي يواجهها الشباب هي نتيجة إفرازات جملة من العوامل الداخلية والخارجية:

تتعلق **العوامل الداخلية** بحالة التخلف العلمي الحضاري الذي لف أمتنا خلال القرون الأخيرة، وتتجسد العوامل الداخلية المباشرة في:

- ضعف الثقافة الأسرية، وبالتالي ضعف بناء الحصانة والمناعة الثقافية لدى الأبناء.
- قصور المناهج التعليمية المدرسية والجامعية، وعدم قدرتها على تعزيز الانتماء الثقافي، وبناء ثقافة الجيل.
- قصور الخطاب الثقافي الإسلامي الموجه، وسيادة لغة المنع والتحريم على لغة الحوار والإقناع والتأثير.
- عدم إعطاء الثقافة الشبابية القدر الكافي من اهتمام الحركات الإصلاحية في المجتمع.

- ضعف البؤر الثقافية في المجتمع من روابط واتحادات وجمعيات، وتأثرها بالواقع السياسي، وعدم الاهتمام بالفجوة بين الحكام والمثقفين، والدوران في حلقة مفرغة، دون المساس بالحلول الجذرية في مواجهة الأزمات والتحديات.

✓ عدم التواصل الفعال بين الخطاب الإعلامي والأزمات الثقافية للشباب.

فيما تتعلق **العوامل الخارجية** بحركات الاستشراق، والتبشير والاستعمار التي أسهمت في إيجاد حالة التجزئة في الأمة الإسلامية الواحدة، وأثرت سلبا على الفكر الإسلامي الوحدوي، وكذا على الهوية الحضارية للأمة، وتعرضها للغزو الثقافي الغربي المصاحب للحضارة الغربية المتقدمة علميا وتكنولوجيا، مما سارع في حالة التغير الاجتماعي والقيمي في الأمة، وعزز حالة التقليد الحضاري للأنماط الثقافية والاجتماعية الغربية، بصورة غير منضبطة.

ويمكن إجمال أهم عواملالمشكلات الثقافية للشباب الخارجية في:

أ. الغزو الثقافي الغربي، وما صاحبه من مظاهر الاستشراق، وحملات التبشير، والاستعمار العسكري والسياسي الذي رافقه فرض أنماط ثقافية واجتماعية غريبة على مجتمعاتنا، وتأثيرات سلبية على شبابنا قادتهم للتقليد لما عند الغرب في مجال القيم والأنماط الاجتماعية في المأكل والمشرب والملبس.

ب. تيار العولمة، أو بالأحرى تيار الأمركة الذي تقوده أمريكا وله آثار ثقافية لا تقل عن آثاره الاقتصادية، السياسية والعسكرية السلبية على أمتنا العربية الإسلامية وثرواتها الطبيعية، حتى غدت أمريكا تشير علينا بما يجب أن تكون عليه مناهجنا التعليمية في الدين والتاريخ.

الانفجار المعرفي في سائر العلوم، مما جعل المسافة تتسع يوما بعد يوم بين مجتمعاتنا التي لا تزال في بداية الثورة الصناعية، والدول المتقدمة التي قطعت أشواطا بعيدة في السير نحو مجتمع المعلوماتية والمعرفة، فالقرن الحالي يشهد رأس مال معرفي هو رأس مال حقيقي، لتقدم الأمم وتنمية المجتمعات.

سادسا: آليات مواجهة الثقافة العربية لتحديات العولمة الثقافية

لا يتأتى الدفاع عن الهوية الثقافية ضد مخاطر العولمة من الإغلاق عن الذات ورفض الغير، لأن في هذا تصحيح خطأ بخطأ، إنما يتأتى من خلال ما يلي:

1. بإعادة بناء الموروث القديم المكون الرئيسي للثقافة الوطنية بحيث تزال معوقاته وتستنفر عوامل تقدمه، وكلا العنصرين موجود في الثقافة. ويتم إعادة الموروث القديم بتجديد لغته من اللغة القطعية والألفاظ التشريعية إلى اللغة المفتوحة والألفاظ الطبيعية. وتغيير مستويات تحليله من المستوى الغيبي التقنينية إلى المستوى الإنساني التحرري. فالتراث القديم وهو الرافد الأساسي في الثقافة الوطنية نشأ في عصر مضى وفي مرحلة تاريخية ولت منذ زمن ولم يعد معبرا عن مطالب هذا العصر رغم أنه كان معبرا عن مطالب ذلك العصر الماضي.

فالعصر قد تغير وتغيرت مظاهره، من النصر إلى الهزيمة ومن الإبداع إلى النقل ومن الاجتهاد إلى التقليد ومن العقل إلى النقل، وهذا يحتم إبداع ثقافة جديدة تعبر عن ظروف العصر من احتلال وقهر وتجزئة وظلم اجتماعي وتخلف وتغريب، لذا فعلى الثقافة العصرية إبداع بدائل جديدة تكون إضافة إلى اجتهادات الأجيال السابقة. على هذا النحو يمكن تجديد الثقافة العربية.

2. يتطلب الدفاع عن الهوية الثقافية كسر حدة الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جاذبيته وذلك برده إلى حدوده الطبيعية، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية. فكل ثقافة مهما ادعت أنها عالمية تحت تأثير أجهزة الإعلام فإنها نشأت في بيئة محددة، وفي عصر تاريخي معين. ثم انتشرت خارج حدودها بفعل الهيمنة ووسائل الاتصال.

ويمكن التخفيف من غلواء العولمة أيضا عن طريق قدرة الأنا على الإبداع بالتفاعل مع ماضيها وحاضرها، بين ثقافتها وثقافة العصر، ولكن ليس قبل عودة الثقة للأنا بذاتها وليس قبل الانبهار بالآخر كنقطة جذب لها وإطار مرجعي لثقافتها، وإذا كان الصراع بين الخصوصية والعولمة هو في الحقيقة صراع على السلطة في المجتمع بين فريقين متخاصمين هما السلفية والعلمانية، فإن المدخل الإيديولوجي لكليهما يمكن تعريته والعودة إلى المعاش ومطالبة كل من الفريقين بالاستجابة إلى تحديات العصر. ففي الواقع يتم انصهار الفكر، ومن ثمة فكما يتم تحرير الأرض باسم الخصوصية لابد أن تتحقق العدالة الاجتماعية باسم حقوق الإنسان والزكاة والتكافل الاجتماعي والاستخلاف، لأن الغاية العملية واحدة حتى وإن اختلفت الأطر النظرية.

وبما أن بلدان العالم العربي أكثر تأثرا بالغزو الثقافي الإعلامي فإن مستقبل الهوية الثقافية بها يتوقف على جملة من العوامل أهمها: (فضيل دليو، 2003، ص 136)

أ. وجود إرادة سياسية قوية تستمد شرعية قوتها من تفويض شعبي واسع في إطار برنامج وطني يتم الاتفاق عليه، تتبنى هذه الإرادة منهج التغيير الذي ينسجم مع التطورات العالمية المستمرة، واضعة رؤية استراتيجية تتكامل فيها السياسات وفق مبدأ المنظومة الكلية.

ب. تبني سياسات علمية وثقافية تعبئ الطاقات، وسياسات اقتصادية لا تفتح الباب واسعا بقدر ما تهدف إلى التوازن بين الداخل والخارج، وسياسات ثقافية جزئية تفهم روح العصر ومتطلباته الذي يرتبط بما هو حي وقادر على الاستثمار من الماضي دون أن يؤدي ذلك إلى استحضار الماضي كله والعيش به.

ت. تطوير النظام السياسي والانتقال من الشمولية والسلطوية إلى الديمقراطية والتعددية وتداول السلطة واحترام حقوق الإنسان.

ث. بناء ثقافة وإعادة إنتاج منظومة القيم الاجتماعية وتنمية وتعميق الوعي المدني، من خلال تطوير مؤسسات التكوين الثقافي والاجتماعي **(الأسرة، الجامعة، الحزب، المؤسسات الإعلامية).**

ج. إعادة النظر بالطرق التعليمية وتعليم الفكر النقدي وتطويره، وزيادة الإنتاج الثقافي العربي الأصيل بشتى أشكاله مع التركيز على نوعية هذا الإنتاج، بحيث ننتج ونعيد إنتاج مفرداتها المعرفية ومفاهيمها بشكل ذاتي.

ح. الابتعاد عن الموقف الذي يرفض العولمة دون العمل على مواجهتها فعليا، أو الموقف الذي يقبل العولمة دون تحفظات عليها، ومحاولة فهم الضرورة الموضوعية الكامنة في ظاهرة العولمة باعتبارها مرحلة تاريخية، وهذا الفهم للضرورة الموضوعية يجعل الشعوب قادرة على التحكم في العولمة، وتعديل قيمها وقوانينها وحركتها من قوانين اللاتكافئ على الصعيد العالمي إلى قوانين التكافؤ والمساواة والاعتماد المتبادل بين المجتمعات، من إعادة إنتاج نظام الهيمنة القديم بأشكال جديدة إلى إعادة إنتاج نظام

عالمي أساسه الحوار بين الشعوب وسيادة المنطق والعقل، وقبول الآخر والتعايش معه بعيدا عن العنف والهيمنة والتسلط.

II. خاتمة:

من كل ما سبق يتضح أن ما يشهده العالم من تحولات عالمية بفعل ما يعرف بالعولمة أوجدت تناقضات كبيرة في النظام القيمي للمجتمعات العربية، نتيجة التعارض بين النظام القيمي للثقافة الأصلية والنظام القيمي الجديد وهو ما كان له أثر كبير في ظهور التناقض بين عالم الدلالة والممارسة للمعايير الاجتماعية عند الأجيال الجديدة، فقد أوجد هذا الصراع القيمي في المنظومة الاجتماعية صراعا موازيا في منطلقات ومرتكزات مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي لم تعد قادرة على التأسيس لمناعة ثقافية بالنسبة للأجيال الجديدة، وهو ما جعله يعجز عن إنتاج رموزه اللغوية ودلالات أفكاره انطلاقا من مرتكزات هويته الثقافية، في مقابل شعوره بسيطرة الثقافة الدخيلة على توجيه فكره وعمله

وبالتالي فإن الحديث عن العولمة والهوية الثقافية، يعني الحديث عن الخصوصية والعالمية، المحلي والكوني، عن ثنائية أعمق هي ثنائية الأنا والآخر. وعادة ما يكون الأنا هو الذي يدافع عن الهوية الثقافية والخصوصية، والمحلية في مواجهة الذي يتحد مع العولمة والعالمية والكونية، فالعلاقة بين الطرفين ليست مجرد موضوع لبحث علمي، بل هي أزمة وجودية تاريخية تعبر عن صراع أكثر مما تعبر عن مجرد تضايف أو حوار. فهي علاقة غير متكافئة بين خصمين وليست علاقة بين ندين، لذا على المجتمعات العربية أن تعي هذه التحديات العالمية وتؤسس خاصة لمنظومة تربوية تنتج ثقافة قوية تكون قادرة على التعامل مع هذه التحولات بفاعلية خارج منطق الانهزامية أو المؤامرة.

الاقتراحات: من خلال ما توصلنا له من استنتاجات يمكن تقديم الاقتراحات التالية:

- الاهتمام بالتوعية لتنمية دور الثقافة الأسرية في بناء الحصانة والمناعة الثقافية لدى الأبناء.
- التركيز على تطوير المناهج التعليمية المدرسية والجامعية، لتفعيل دورها في تعزيز الانتماء الثقافي لدى الأجيال الجديدة.
- العمل على دعم الخطاب الثقافي الإسلامي القائم على لغة الحوار والإقناع والتأثير خاصة من خلال وسائل الاعلام.
- إعطاء الثقافة الشبابية القدر الكافي من اهتمام الحركات الإصلاحية في المجتمع.
- تنمية البؤر الثقافية في المجتمع من روابط واتحادات وجمعيات، و تفعيل تأثرها بالواقع السياسي لايجاد مشروع مجتمعي لمواجهة الأزمات والتحديات الثقافية.

الإحالات والمراجع:

1. الجابري محمد(1998)، العولمة والهوية الثقافية، المستقبل العربي، العدد228.
2. السيد ياسين(1998)، في مفهوم العولمة، المستقبل العربي، العدد228.
3. حسن حنفي(1999)، ما العولمة؟، دار الفكر المعاصر، بيروت.
4. حسن حنفي(2004)، حصار الزمن، إشكالات الحاضر، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
5. حسن عبد الله العايد(2004)، أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، عمان، الأردن.
6. حسين العودان(1997)، التكامل بين السياسات الثقافية والسياسات الإعلامية في الوطن العربي، مجلة العربية للثقافة، تونس، السنة 16، العدد 33.
7. خليل أحمد خليل، محمد علي الكبسي(2001)، مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة، ط 1، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت.
8. سامية حسن الساعاتي(1983)، الثقافة والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
9. سمير ابراهيم حسن(2007)، الثقافة والمجتمع، دار الفكر، دمشق.
10. سليمان ابراهيم العسكري(2001)، إعلام العولمة، قيم جديدة...أم انكفاء على الذات؟، مجلة العربي، العدد517.

11. طه عبد العاطي نجم(1998)، الاتصال الجماهيري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
12. طلال عبد المعطي مصطفى(2002)، أبحاث في علم الاجتماع: نظريات ونقد، ط1، دار هادي، دمشق.
13. عبد اللطيف صوفي(2001)، العولمة وتحديات المجتمع الكوني، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
14. عبد الملك ردمان الذناني(دس)، الوظيفة الإعلامية لشبكة الانترنت، دار الراتب الجامعية، العراق.
15. علي غربي(1999)، العولمة وإشكالية الخصوصية الثقافية، مجلة الباحث الاجتماعي، العدد 02، السنة الثانية، معهد علم اجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة.
16. فضيل دليو وآخرون(2002)، التحديات المعاصرة: العولمة، الانترنت، الفقر، اللغة،...، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة.
17. فضيل دليو(دس)، وسائل الاتصال وتكنولوجياته، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة.
18. فضيل دليو(2003)، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
19. محمد عبد المنعم نور(1970)، المجتمع الانساني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.
20. نور الدين بومهرة(2001)، العولمة وإشكالية الهوية (الهوية العربية نموذجا)، في فضيل دليو وآخرون، الجزائر والعولمة، منشورات جامعة منتوري، قسم علم اجتماع، قسنطينة.
21. Albrow,M,and all (eds) (1990), Globalhsation, Knowledge and society. Sage. London.
22. Featherstone.M,(ed) (1990), Global culture, Nationalism, Globalisation and Moernitey Sage, publication.
23. Robertson.R (1992), Globalisation, sage, London.
24. Tomlinson.J(1990), cultural Imperialism, The John Hopkins Univercity Press, Baltimore.